تلقّي صدمة الحرب بين روايتي:(نصف شمس صفراء) للكاتبة النيجريّة تشيمامندا نيغوزي أديتشي و(يامريم) للكاتب العراقي سنان أنطون. (دراسة مقارنة).

د. عيد حسن محمود*

د. طلال محمّد حسن**

محمّد سليم عبد الرحمن***

(تاريخ الإيداع 2 / 12 / 2020. قبل للنشر في 22 / 2 / 2021)

□ ملخّص □

يهدف البحث إلى تحليل صدمة الحرب تحليلاً نقديّاً، ثقافيّاً، مُقارناً في سياقين ثقافيين مُتباينين ،هما: سياق الشرق الأوسط (العراق)،وسياق مابعد الكولونيالية (نيجريا)، بتقرّيه مرحلتين ثقافيّتين–نفسيّتين في نقد الشخصيّات الروائيّة المصدومة،هما:(المُحاكاة، والتخطّي)؛ إذ يُقاوم لاوعي المصدوم في طور (المحاكاة) الصدمة بوسائل دفاعيّة نفسيّة تمثّلها(الكوابيس) ذات الأبعاد الثقافيّة .أمّا في طور(التخطّي)، فتحاول الشخصيّات المصدومة العيش خارج نطاق الذّات المأزومة بتفاعلها مع المجتمع، وتناسي سرديّتها؛ وذلك بتطوير استراتيجيّات حواريّة، تحرّر سردية الصدمة من ذاتيّتها؛ فتُساعدها على تخطّي الماضي الأليم، وتحويره إلى قوّة مُضادّة تُشرعنه.

يخلص البحث إلى أنّ مرحلة(المحاكاة) تكشف عن ابتزاز الحرب لا وعيي الشخصيّتين الروائيتين:(مها،أولانا)؛ ممّا يصوّر وعييهما بؤرة سوداويّة تريا بهما العالم المحيط ممرّاً سياسيّا لأوهامهما النفسيّة. أمّا مرحلة (التجاوز) بجانبيها: التأقلم والتواصل، فتبيّن أنّ عمليّة التعالي على ألم الصدمة تخضع لمناوشة الذوات المنغلقة على حكايتها في طور (المحاكاة)، وتنتهي بالمفاوضات الداخليّة مع العالم الخارجي التي تقبل بموقع الضحيّة موقعاً قابلاً للتغيّر.

الكلمات المفتاحيّة: صدمة، مابعد الصدمة،الحرب، السرديّة، المحاكاة، التخطّي، الاستشفاء.

* أستاذ . قسم اللغة العربية. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.

** مدرّس. قسم اللغة العربية– كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة– جامعة تشرين – جامعة تشرين – اللاذقية– سورية
dr.talal.hassan60@gmail.com

***طالب دكتوراه (الدراسات الأدبيّة) . قسم اللغة العربيّة- كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة - جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.
saleemmohmmed084@gmail.com

The Response of War Trauma
A comparative study between *Half Of A Yellow Sun* by the Nigerianwriter"*ChymemandaNegozieAdichie*"and*"YaMarim"* by the Iraqi writer "*Sinan Antoon*".

Dr. Edi Hassan Mahood[*]
Dr. Talal Mohmmed Hasan [**]
Mohmmed Saleem Abd al-rahman[***]

(Received 2 / 12 / 2020. Accepted 22 / 2 / 2021)

□ ABSTRACT □

The research aims to analyze war trauma in perspective of comparative cultural criticism at two different cultural contexts : the Middle Eastern "Iraq" and the post-colonial "Nigeria" questioning two cultural- psychological phases in criticizing the traumatized characters: acting- out and making-through via linking the psychological concepts to the cultural and social position of the characters.

The conscious of the characters at the acting-out phase counters by defenses mechanisms like the dark swoops which reflect political and social concerns. On contrary, making-through phase reveals that the characters try to live out of the crisis-self by communicating to society and forgetting its own trauma narrative through developing dialogism strategies free the narrative plot from the subjectivity, helping to exceed the painful past and transform it into anti-power to be baptized.

To conclude, the acting –out phase reveals the blackmailing of war to the unconscious of the characters which portrays their conscious melancholia centers ,at where they see the world as a delusions- pathway. while, making-through phase in both communication and adaptation aspects reveals the transcendence of trauma pain imposed upon the scrimmage of the sieged self-story in acting-out phase to be finished to the internal negotiations with the external world which accept the changeability position of the victim.

Key Words: Trauma,post-trauma,Narrative,Acting-out,Making-through,Healing**.**

[*]**Professor at Arabic language and Literature Department –Tishreen University –Lattakia-Syria.**
[**]**Assistant Professor - Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria dr.talal.hassan60@gmail.com.**
***P.HD student Arabic Department-Faculty of Arts. and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.saleemmohmmed084@gmail.com**

مقدّمة.

يعدّ حقل دراسات الصدمة (**Trauma-Studies**) حقلاً ثقافيّاً،وبينيّاً،عابراً للتخصصات المعرفيّة (**Cross-Cultural**)؛ إذ يتناول النص الأدبيّ من منظورات ثقافيّة متشعبّة؛ تنطلق من علم النفس(**Psychology**)، وتقاطعاته الفكريّة مع الحقول المعرفيّة الأخرى، لكن ما يُميّز دراسة صدمة الحرب أنّها تتعالق مع التاريخ، والسياسة، والاقتصاد بوصفهم محرّكات الحروب ،لتعكسهما الشخصيّات الروائيّة بأقوالها، وردود أفعالها التي تصف إعادة تمثيليهما: الفرديّ– النفسيّ، والثقافيّ–الاجتماعي في سياق الحرب السياسيّ.

تحدث الصدمة عندما تتعرّض الذّات لحدثٍ عنيف، يُلقيها وجاهاً أمام خطرين: إمّا خطر الزوال المعنويّ وإمّا المادّي (الجسديّ)؛ فترتاع، وتعجز عن المبادرة، وتشعر بالخزي والعار من حالة عجزها[1]؛ أي تتثبّط ذاكرة الذّات الإنسانيّة عند الحدث الصادم ؛فلا هي قادرة على استيعاب ما حصل لها، ولا تمتلك الطاقة على مواجهة العالم، لكن من الاستحالة أن تعيش حياتها اليوميّة من دون تناسيها الصدمة بانشغالها في الحياة، حتّى لو كانت الذّات تتعلّق بالماضي لدرجة أنّ الشخصيّة تغدو عصابيّة في أفعالها، وأقوالها.

أهميّة البحث وأهدافه:

تتجلّى أهميّة البحث في اشتغاله التطبيقي على مفهومٍ نفسي مُعقّد ، هو الصدمة التي تُخلخل واقع الإنسان المعيش، انطلاقاً من تحليلها ثقافيّاً في سياقين روائيين متباينين ثقافيّاً، هما: الحرب (**البيافريّة Bifra**) في نيجريا الممتدة بين عامي (**1967– 1970**) في رواية (**نصف شمس صفراءHalf Of A Yellow Sun**) لتشيمامندا نيغوزي أديتشي،والحرب العراقيّة بعد غزو أميركا(**2003**) في رواية (**يامريم**) لسنان أنطون ؛ إذ تكمن جدة البحث بتناول الصدمة، بوصفها جرحاً نفسيّاً مُندمجاً في الإطارين التاريخيّ، والاجتماعيّ للحروب المُشتعلة، التي تُلخّص أحوال بلدان العالم الثالث من خلال شخصيّتي(مها)، و(أولانا**Olanna**).

يهدف البحث إلى تحليل صدمة الحرب تحليلاً نقديّاً، ثقافيّاً، مُقارناً في الروايتين، انطلاقاً من طورين نفسيين– ثقافيين هما: المُحاكاة، والتخطّي، بربطهما المفهومات النفسيّة بالموقع الثقافي–الاجتماعي للشخصيتين المصدومتين في زمن الحرب.

منهجيّة البحث.

يستعين البحث بالمنهج المُقارن** باتجاهه الثقافي العابر للتخصصات(**Interdisciplinary**) ؛ مُنطلقاً من توظيفه بعضاً من مفهومات دراسات الصدمة ، مثل: دراسات النّاقدين الثقافيين : كاثي كاورث(**Cathy Caruth**) ، دومنيك لاكابرا(**Dominick Lacapra**) في معالجتهما محاكاة الصدمة وتخطّيها ثقافيّاً، بربطها بالأحداث التاريخيّة، والصراعات السيّاسيّة. ويعتمد البحث، أيضاً، على مقولتي التشابه والاختلاف في الاتجاه الروسي المُقارن ،لتأويل نقاط التلاقي والافتراق الثقافيّة بين الروايتين في تحليل تلقّي صدمة الحرب.

---

[1] **) HIRMAN ,J.** ***Trauma and Recovery, The aftermath Of Violence From Domestic Abuse To Political Terror*** **, Basic Book,New York, 1992, 33.**

** **يقوم المنهج المقارن في البحث على تقرّي أوجه التشابه والاختلاف بين الروايتين المدروستين بالاعتماد على مقولات النقد الثقافي والدراسات الثقافيّة، ويعدّ استراتيجيّة يتوسّل بها البحث لتأويل مفهوم الصدمة ثقافيّاً.**

النتائج والمناقشة:

أوّلاً–في مفهوم الصدمة.

تُشير((كلمة الصدمة ذات الأصل اليونانيّ(**Trauma**) إلى الجروح التي تُصيب الجسد، ليتمّ تداول استعمالها لاحقاً، لتُحيل على ظروف عقليّة. فجرح الجسد من السهل علاجه، خلافاً لجرح العقل الذي يعدّ علاجه أشدّ تعقيداً؛ لعدم القدرة على تحديده بزمن محدّد؛ إذ من الصعب تسجيل حدوثه في وعي الإنسان))[1]فهو خارج عن إرادته.وتتّفق معظم معاني الصدمة نفسيّاً على أنّها((تجربة تستحوذ عقل المرء نتيجة أحداثٍ كارثيّة أو مُفاجئة، تكون ردّة الفعل حيالها غالباً مؤجّلة بصورة تناذرات كربٍ مُستمرّة للهلوسة، وغيرها من المظاهر النفسيّة المتداخلة))[2]؛ إذ إنّ حقيقة استحواذ الحدث الصادم على عقل الضحيّة، تفيد أنّ وعيها لم يكن مُتأهّباً لتجربة الصدمة الكاسرة[3].أمّا ردّة الفعل المؤجّلة فتسّمى(**P.T.S.D**)* وتعني (تناذرات كرب ما بعد الصدمة) التي تظهر أعراضها في وسائل دفاعيّة، مثل:الأحلام،والهواجس، أو السلوك القهري، ويرافقها جميعها فيزيولوجيّاً حالة تخدير عامّة للجسد، ومن المُحتمل أن تحوّل الضحيّة إلى شخصٍ عُصابيّ.[4]

– وصف الحدث الصادم في روايتي (نصف شمس صفراء) لتشيما أديتشي،(يامريم) لسنان أنطون.

قبلَ البدء بتحليل صدمّة الشخصيّات الروائيّة ثقافيّاً، لابدّ من إلقاء الضوء على حيثيّات الحدث الصادم الذي يظلّ قابعاً في ذاكرتها، وآليّات تلقّيه النفسيّة في زمن الحرب؛ لأنّ معركة الشخصيّة المصدومة الفرديّة هي معركة الذاكرة التي خزّنت الحدث الصادم في مخيّلتها؛((فالنّاس المصدومون يظلّون يجرّبون الحياة كأنّها استمرارٌ للصدمة، ويبقون مُتأهّبين نفسيّاً لعيشها مراراً وتكراراً))[5]في سلوكهم اليوميّ*، لتتحكّم بحيواتهم الحاضرة لدرجة أنّهم يُصبحون أبناء الماضي، المُحاصر بالحاضر.[6]

---

[1])CARUTH ,C .Introduction "*Un claimed Experience :Trauma ,Narrative and History* , John Hopkins University Press ,Baltimore ,Maryland,1996, 3.

[2] *)Ibid.* 11.

[3]) LACAPRA,D.*Writing History ,Writing Trauma*, John Hopkins University Press, Baltimore ,Maryland,2001, 90.

* -post بادئة معناها: بعد، عقب، وراء. ومن التعبيرات التي تدخل فيها البادئة حالات مرضيّة تحدث بعد الولادة، أو البلوغ، أو عقب الصدمات النفسيّة، وإصابات الرأس. ومن أمثلة هذه الحالات اضرابات الكرب التالي للصدمة (Post-Traumatic Stress Disorders). وهي حالة تعقب الضغوط النفسيّة الهائلة التي تفوق الاحتمال، مثل: الحرب، والكوارث الطبيعية، والحوادث ، والجرائم المقترنة بالعنف ، مثل: الاغتصاب. وكانت تُعرف هذه الحالة بأسماء أخرى ،مرتبطة بضحايا الحروب؛ إذ تمتاز باستعادة أحداث الصدمة في الحلم واليقظة، وتجنّب كلّ ما يذكّر بها مع استمرار القلق والاكتئاب، والاضطراب النفسيّ عقب الصدمة لفترة طويلة.

*يُنظر: الشربيني ، د.لطفي .*معجم مُصطلحات الطب النفسي* ، مراجعة: د.عادل صادق، تحرير: مركز تعريب العلوم الصحيّة. مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي. د.ط، د.ت،**141**.

[4]) CARUTH ,C.*Trauma :Explorations in Memory*, Maryland :John Hopkins University Press Baltimore , ,1995, 4.

[5])BSAAL, Van der Kollk .*The Compulsion to Repeat the Trauma :Re-Enactment ,Re-victimization and Masochism* ,Psychiatric Clinic of North America 12,1989,398-411.

* تُلاحظ النّاقدة الثقافيّة (كاثي كاروث) أنّ مشاهد الصدمة تُستعاد بدقّة بالغة في ذاكرة المصدوم ،وتكون الاستعادة إلى حدٍّ كبير خارجة عن إرادة الفرد، ليخرج بعد الصدمة بذاكرةٍ مُنقسمة على نفسها، فهو من ناحية أولى، سجّل مشاهد من الصدمة. ومن ناحية ثانية، لم يدمج هذه المشاهد في حكاية شخصيّة بعد ؛فهو لم يحكي عن تجربته النفسيّة للآخرين؛ أي لم يؤوّل حكاية صدمته، ولم ينسج حولها سياقاً حكائيّاً.

أ–وصف حدث (أولانا) الصادم في ظلّ حرب (البيافرا).

كانت الشخصيّة شاهد عيان على المجازر الوحشيّة بحقّ أبناء قبيلتها الإيبو(**Igbo**) في طريقها من ناسوكا(**Nasoka**) المُشتعلة حرباً ، هرباً إلى كانو (**Kano**) مكان سكنها،بعد أن بدأ رجال قبيلة الهاوسا(**Hausa**) المذابح الجماعيّة في قبيلة (الإيبو)، لترى أمامها جثتي خالها وخالتها، وقد تمّ التمثيل فيهما بشناعة ، تقول الكاتبة:((توقّفت حين شاهدت الجثث .الخال (مبازي **Mebazi**) مُلقىً على وجهه ملتوياً على نحوٍ بشع، وساقاه مُفلطحتان. وثمّة شيء لزج أبيض ينزّ من جرح غائر في مؤخّرة رأسه .الخالة إيفيكا (**Ifeka**) ترقد في الشرفة. التمزّقات في جسدها العاري كانت أصغر، منقّطة ذراعيها وساقيها مثل شفاه حمراء مفتوحة قليلة)).[1]لم تكن (أولانا) لتستوعب منظر جثث أقاربها، وتهرب مستعجلةً هي وطفلتها بواسطة القطار حتّى تُصدم بمشهد أشدّ شناعة.((نظرت أولانا داخل تجويف الإناء.رأت رأس بنت صغيرة ببشرتها الرماديّة وشعرها المضفور وعينيها المقلوبتين وفمها المفتوح. حملقت فيها لبرهة قبل أن تشيح بوجهها بعيداً. أحدهم صرخ .أغلقت المرأة القرعة.(هل تعلمون)؟ لقد استغرقتُ وقتاً طويلاً لتضفير هذا الشعر. كان لها شعر غزير)).[2] لقد راعَ (أولانا) منظر الأمّ التي تحتضن رأس طفلتها المضفور، وسيظلّ هذا المشهد المأساويّ قابعاً في ذاكرتها، لكن يُلاحظ أنّ مُخيّلة الشخصيّة قد نُكّلت بمشاهد تعنيف مُتتالية، بلا فجوات زمنيّة تمكّنها من التقاط أنفاسها وهي تنتقل من مكانٍ إلى آخر. و تتّسم المشاهد التي رأتها بتدرّجها الوحشيّ من تمرّد رجال (الهاوسا) المتشددين، إلى ذبحهم أقاربها، انتهاءً برؤيتها الرأس المقطوعة في محطّة القطار.

ب–وصف صدمة (مها) في ظلّ حرب العراق.

يتجلّى حدث صدمة (مها) بإجهاضها طفلها عقب استهداف الإرهابيين منطقة سكنها (الدورة). تقول:((كلّ ما أذكره هو صوت الانفجار وصراخي. عرفت في تلك اللحظة بأنّني سأفقد بشّاراً.بدأ جسدي يرتجف بقوّة وكأنّه شجرة يعصف بها الموت. كأنّ الموت نفسه كان يمرّ بجسدي ويفتّش عن ابني ليخنقه في رحمي.[...] عندما وصلنا إلى المستشفى كان قلبٌ واحد فقط ينبض في داخلي بدلاً من اثنين)).[3]خسرت (مها)، إذاً، طفلها في الانفجار، وأصبحت مأساتها تدور في صدمة الفقدان التي أنهكت ذاكرتها بأزمة الأمومة المرتبطة مباشرة بانتمائها الدينيّ (المسيحي)؛ ممّا فاقم صدمتها التي ربطت بين صراع الأقليّات في حرب العراق أكثر ما عبّرت عن الفقدان الروحيّ للابن الذي لم تُبصره عيناها.

ثانياً– تجليّات الصدمة الفرديّة في زمن الحرب .

تعدّ مُحاكاة الصدمة، وتخطيّها استراتيجيّتي إعادة تمثيل لصدمة الشخصيّتين الروائيّتين:(أولانا، مها)؛إذ حدّدهما(فرويد)*،وطوّرهما الناقد الثقافيّ (لاكابرا)، بهدف دمجهما في الدراسات الثقافيّة الأدبيّة التاريخيّة ؛إذ يرى أنّ التلقّي الانفعاليّ للأحداث التاريخيّة التي تعدّ الحروب أشدّها توغّلاً في حركة التاريخ المتحكّمة بالكون، تتضمّن واحدةً من

See:CARUTH ,C. *Introduction :Re-capturing The Past ,In Explorations In Memory,*Baltimore,John Hopkins,UP,1995, 151.

[1])ADICHIE, N . *Half of a* yellow sun,New York,Knof, 196.

[2])I*bid*, 203.

[3]) أنطون، سنان. *يامريم*، منشورات دار الجمل، ط1، بيروت –لبنان، 2012،128.

*** يستعمل (فرويد) مصطلح الحِداد(Mourning) الذي استعاض عنه النّاقد (لاكابرا) بمصطلح المُحاكاة(Acting-out)، ومُصطلح السوداويّة أو المنخوليا(Melancholy) الذي أسماه(لاكابرا) بالتجاوز، أو التخطّي(Making-Through).**

See: LACAPRA,D. *Writing History ,Writing Trauma*, 22.

حالتين نفسيّتين ثقافيّتين: إمّا التطابق الكلّي الذي يُحيل إلى المُحاكاة التامّة للحدث التاريخيّ ،وإمّا مواجهة الاندماج فيه التي تعني التخطّي؛ أي تجاوز الحدث التاريخيّ المؤلم ، ومحاولة تحرير الذاكرة منه[1]. لكنّ الشخصيّتين الروائيّتين، تمثّلان المرحلتين السابقتين رغم اختلاف طبيعة الحدث الصادم الذي عاشتاه في زمن الحرب؛ أي تتلقيّان صدمة الحرب التي تنزاح عن فرديّتها، لتزجّهما في حلبة الصراع المجتمعيّ العام[2] ؛ فتتخطّى الصدمة التجربة الوجدانيّة الخاصّة إلى المستوى الجمعي، الذي يقرن الألم الذاتي بأحوال البلدان المتحاربة. فصدمة(أولانا) تنتقل من مشاهد القتل، والدمار، والفقدان إلى معركة نفسيّة لامرأة من قبيلة(الإيبو) الأقليّة الدينيّة في حرب (البيافرا)، التي تستهدف وجود أبناء قبيلتها، ووجوديّة دورها الفاعل في زمن الحرب. وكذا تصوّر صدمة(مها) تصويراً سياسيّاً معاناة امرأة، عراقيّة، أقليّة (مسيحيّة) مع خسارتها طفلها؛ الأمر الذي يقرن فقدان الأمومة بالتحوّلات السياسيّة في زمن الحرب.

-أوجه التشابه والاختلاف.

يُمكن إيجاز نقاط التشابه والاختلاف في تلقّي كلّ من (أولانا، ومها) الحدث الصادم، بمجموعة قضايا نقديّة ثقافيّة-نفسيّة، تتمثّل بما يأتي:

1-مُحاكاة الصدمة(Acting-Out) .

يؤكّد النّاقد (فان دير كولك**Van der Kolk**): أنّ ((الصدمة تتكّرر بمستوياتٍ سلوكيّة، وانفعاليّة، ونفسيّة، وعُصابيّة))[3]، فالشخص الذي يُحاكي الصدمة غالباً ما يُعيد تجربة الحدث الصادم بآليّاتٍ سلوكيّة دفاعيّة مُختلفة،مثل: الاسترجاع، الأحلام، وغيرها من الآليّات الدفاعيّة الأخرى مثل: الكوابيس التي تُفصح عن سلوك الشخصيّات الروائيّة المصدومة،ويتجلّى ذلك بأمرين اثنين: دلالة الكوابيس الثقافيّة، والسلوك العُصابي ودلالته النفسيّة-الثقافيّة.

أ-الكوابيس،ودلالتها الثقافيّة، والاجتماعيّة.

تعد آليّة الكوابيس(**Dark swoops**) آليّة دفاعيّة نفسيّة مُشتركة بين (أولانا، ومها)، وتُعرّف الأحلام الكابوسيّة بأنّها((نوبات من الأحلام المُقلقة، والمُخيفة التي قد تؤدّي إلى استيقاظ الحالم وهو في حالة رعب، ويلي الاستيقاظ مُباشرةً تذكّر الحالم بالتفصيل لحلمٍ طويل ومزعج يتضمّن إمّا تعرّض الحالم نفسه، أو مَن تربطه به محبّة بخطرٍ وشيك، ويُصاحب الحلم الكابوسيّ في معظم الحالات انفعال زائد في الجهاز العصبيّ الواقي))[4]. فالكوابيس تثقل الوعي، وتؤرّقه بوقع الصدمة النفسيّ ؛ إذ تتشابه دلالة كوابيس (أولانا، ومها) ثقافيّاً بتجسيدها مرض الحرب(**Pathology of war**)، الذي يعكسه تفاعل الشخصيّتين مع المجتمع المتصدّع الذي يستثير مخاوفهما، ويُفقدهما تمثيليهما الذاتي قسراً.[5] فعند قراءة بداية كوابيس(أولانا) في قول الكاتبة:((بدأت كوابيس (أولانا)السوداء يوم عودتها من (كانو)، اليوم الذي خذلتها فيه ساقاها. تحسّنت ساقاها حينما نزلت من القطار ، ولم تحتج أن تمسك القضبان الحديديّة الملطّخة بالدماء، كانتا أفضل حينما وقفت لثلاث ساعات في طريقها (لنسوكا) بالباص المُزدحم حتّى إنّها لم تستطع أن تهرش ظهرها الذي

---

[1] **)See: LACAPRA,D.*"Acting –out" and "Making-Through "Trauma* ,Shoah Research Center, ,Cornell University, New York 1988,2011,2004.**

[2] **)See:MILLER ,N. K .*Portraits of Grief :Telling of Grief :Telling Details and The New Geners of Testimony .In Keniston and Quinn, Literature after 11-9*,Routledge, New York ,2008,P23.**

[3] **) LACAPRA .D .*Writing History ,Writing Trauma*,p65.**

[4] **) كمال، د.علي.*باب الأحلام*. ط3،المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر ،الأردن ،343،1994.**

[5] **)SERTHA D.W. *"Dark Swoops": Trauma And Madness in Half Of a Yellow Sun*. 147.*Madness in Block Women's Diasporic Fictions: Aesthetics of Resistance*.Editors: Caroline & C.A.Brown and J.X.K,John.X.K.*Gravery* ,Palgrave ,Macmillan ,2017.**

يستحكمها.لكن أمام بيت (أودينيو) خذلتها ساقاها من جديد، وكذلك مثانتها))،[1] يُدرَك أنّ سببها المباشر هو المجازر الوحشيّة المخّزنة في ذاكرتها.أمّا((سببها غير المُباشر، فهو ثقافة العنف والقمع التي أنتجت الصراع البيافريّ))[2].فالمجتمع الطائفيّ كان مسؤولاً عن زعزعة كيان الشخصيّة، وتأزّم نفسيّتها من خلال مستويين: مستوى معرفي؛ يقيس خذلان فكرها من غليان المدينة الأمني في أثناء زيارة رفيقها(محمّد) المُنتمي إلى (الهاوسا) المسلمين المتشددين الذين أشعلوا المدينة بالفتنة، وأعلنوا الحرب على أبناء قبيلتها (البيافريين) المسيحيين. فأسلوب تهريبها من قبل (محمّد) الذي كان زميلها في أثناء الدراسة في (لندن)، قد خدع زادها الثقافيّ عن التسامح الذي حافظت عليه،خلافاً لعائلتها بنزعتها البرجوازيّة التي تدين بموازيين (الكولونياليّة البريطانيّة)، وأفقدها الثقة بنفسها، وحمّلها وزر انتماءاتها القبليةّ، والاجتماعيّة، والفكريّة؛ أي بات سؤال الشخصيّة الوجودي لماذا كلّ هذا يحصل لفتاة(بيافريّة) معتدلة الفكر؟. أمّا المستوى الفردي ،فتُجيب عنه لغة الجسد المرهق، والإعياء النفسيّ اللّذين يُحاكيان نفسها الخائرة من تتالي المشاهد الصادمة ، تقول الكاتبة:((كانت كوابيسها السوداء أسوأ في الأيّام التي يكون فيها زوّار، أحياناً تُداهمها ثلاثة كوابيس في ضربات مُتلاحقة ،ثمّ تتركها مجهدة جدّاً لدرجة عدم المقدرة على البكاء، لا طاقة لديها إلّا بما يكفي لابتلاع الأقراص التي يدسّها أودينيو في فمها)).[3] يُقارب خمول جسد(أولانا) المُثبّط حيويّاً بتزاحم انقضاض الكوابيس التي دهمت لاوعيها، وجعلت وعيها مسكوناً بالذاكرة المُتخمة بمشاهد مذبحتي: خالها وخالتها،ورأس الطفلة المقطوعة، بفقدانها شغف الحياة؛ إذ باتت ممارستها للحياة ممارسة ميكانيكيّة تسدّ فيها رمقها؛ فالكوابيس لا تستبيح خيالها، وواقعها فحسب، بل تستنفدُ قواها البيولوجيّة، وتعدم سيطرتها على أداء جسمها؛ وبذلك تغدو كوابيسها ثقافيّاً استجابةً سياسيّة مُطابقة لسياستي العنف، والزعزعة اللتين تصفان نيجريا بعد الاستقلال.[4]فلم يتغيّر شيء بعد نشوب حرب (البيافرا)، فثورة (الإيبو) لم تحقّق شيئاً، و(نيجريا) ظلّت مرهونةً بالكولونياليّة البريطانيّة بعد تواطئ (الهاوسا) معها؛ أي إنّ (نيجريا) قبل الاستقلال أقوى بكثير من (نيجريا) في زمن حرب (البيافرا).

ويرى محلّلا الصدمة الثقافيّان (جورج رودز **Goerge.F.Rhoads**) و (فيدات سار **Vedat Sar**) أنّ المنظور المُقارن لتشابه تلقّي الشخصيّات الصدمة واختلافه، يتلخّص بفكرة مفادها: أنّ ((الصدمة تجربة منفردة تبعاً لثقافة مجتمع الشخص، ومشابهة لتجارب المصدومين حول العالم في جوانب نفسيّة متعدّدة))[5]؛ إذ إنّ دلالة كوابيس (أولانا) التي تُحاكي واقع (نيجريا) المرير بعد الاستقلال تُشبه مأزقيّة كوابيس(مها) السوداء التي طاردتها عقب إجهاضها طفلها، مُطاردة عنيفة، تصفها بقولها:((أحمل رضيعي الذي يبكي من العطش .لاشيء حولنا سوى الصحراء .فوقنا غيمة واحدة تدفعها الريح ويقول لي صوت، كأنّه قادم من السماء: اركضي وراء الغيمة، فستلقي أحمالها بعد قليل ! اركضي ليشرب ابنك! أركض، عارية وحافية، لكنّ الغيمة لا تقف ولا تلقي بأحمالها.أركض وأركضُ لاهثة رضيعي يبكي.تسرع الغيمة أكثر وأفشل في اللحاق بها.تختفي في الأفق ويظلّ رضيعي يبكي. أهدهده وأسقيه بدموعي لكنّه لا يكفّ عن البكاء.أستيقظ غارقة في دموعي ورضيعي ليس معي))[6]؛ إذ ينزاح تفسير كوابيسها على التفسير النفسيّ

---

[1] **) ADICHIE. N. CH . *Half of a* yellow sun, 205.**

[2] **)YOUNG.SH. *"Therapeutic Insanity: The Transformative Vision of Bessie .Head's A Question of Power"* ،Research in African Literatures 41,Winter ,2010,229.**

[3] **) ADICHIE. N. CH . *Half of a* yellow sun, 205.**

[4] **)CLARA. E. A.*"Strategies of Subversion .The Deconstruction of Madness in Eva's Man .Corregidora,and Beloved"*,Atlantis,27,Jun,2005, 37.**

[5] **)GOERGE. F. R and VEDAT S. eds. *Trauma and Dissociation in cross-cultural Perspective*. Not Just a North American Phenomenon ,Binghatnton :Haworth Press,2005, 22.**

[6] **) أنطون،سنان.يا مريم،137.**

المعبّر عن هول فاجعتها، ليحمل مضموناً سياسيّاً واجتماعيّاً؛ ((لأنّ كوابيسها تجسّد ما يتعذّر التعبير عنه))[1] من ظروف إثنيّة– وقمعيّة قاهرة، عاشتها (مها) في زمن (الحرب العراقيّة) التي تستهدف برأيها الإنسان المسيحيّ في (العراق) عمداً؛هذا ما كبّل لغة الجسد في قولها:((كنت أستيقظ من كوابيسي هذه مبللّة بالدموع، فأقوم من سريري وأنزل الدرج بهدوء وأدخل غرفة حنّة وأستلقي على فراشها فأشعر بالسكينة وأنام))،[2]بقيود الخوف من الآتي؛ أي فضحت الكوابيس يأس الأم المنكوبة عن التأقلم حياتيّاً مع مجتمعٍ طائفي لن يردّ إليها ابنها، ويحتّم عليها ذلك انعدام انتمائها: الوطني، والمكانيّ؛ (فمها) تقرّع بغبن كوابيسها تواطؤ الأنظمة العراقيّة الحاكمة مع الإسلام المتشدّد، تلك الأنظمة الساعية إلى تطهير العراق من وجود المسيحيين، مثل تقريع (أولانا) (للهاوسا) المُسلمين الذين يستهدفون إسقاط حلم (الإيبو) المسيحيين بتحقيق جمهوريّة (البيافرا) المنفصلة عنهم إداريّا، وفكريّاً.

تحيل الكوابيس المُهيمنة على وعيي الشخصيّتين على الهلاوس (**Hallucinations**)* التي يعدّها(فرويد) تعبيراتٍ نكوصيّة (**Regression**) عن الرغبة في الحلم، والأحوال المرضيّة، والذهانيّة على وجه الخصوص[3]؛ إذ تتشابه الأحلام والهلاوس بآلية التحويل(Transfer) من الأفكار إلى الصور الحسيّة، التي يصدّقها المرء ، ويعتقد أنّه يعيشها[4]؛ إذ تضمر هلاوس كوابيس (أولانا، ومها) دلالة تقاعس العالم الدولي، إن جاز التعبير، عن إعانتهما تحمّل مشقّة ما حلّ فيهما،(فأولانا) لا يمكنها النوم من دون دواء يُساعدها على تخدير وعيها، (لا طاقة لديها إلّا بما يكفي لابتلاع الأقراص التي يدسّها أودينيو في فمها)، مُبيّنة أنّ اعتياد لا وعيها الذي تستبيحه الكوابيس السوداء، يعوّضها استحقارها لتقاعس وعيها عن أداء أي أمر فاعل في الحرب (البيافريّة). أمّا اختلاط كوابيس(مها)مع أحلام يقظتها التي ترى فيها نفسها سعيدة مع ابنها الذي لم تعرفه(أهدهده وأسقيه بدموعي لكنّه لا يكفّ عن البكاء.أستيقظ غارقة في دموعي ورضيعي ليس معي)، فتُريها صورة ذاتها كاملة في الكابوس خلافاً لصورتها التي تخشاها عند الاستيقاظ منه.

ب–السلوك العصابي، ودلالته الثقافيّة والاجتماعيّة.

إنّ الصدمة في مُستوى المُحاكاة تعبير عن((ذاكرة جامدة، وصُور غير مُدرجة في سرديّة، وقد وصفتها الباحثة جودي (هارتمان**Judith Herman**) بما قبل السرديّ(**Pre-Narrative**)))[5]؛ أي حكاية لم تُروَ بعد، فهي حبيسة الذات التي لم تعلن عنها، أو تتجرأ على الإدلاء بأيٍّ من تفصيلاتها؛ إذ يعبّر سلوكا(مها، وأولانا) عن عُصابيّتهما* في

---

[1]) **CLARA. E. A.*"Strategies of Subversion .The Deconstruction of Madness in Eva's Man .Corregidora,and Beloved"*,37.**

[2])**أنطون،سنان.يا مريم،137.**

* **الهلاوس هي: إدراك حسيّ من دون موضوع خارجي، تنتج عن تجسيم ظواهر ذاتيّة تجسيماً موضوعيّاً، يتميّز بأنّ للظاهرة فيها صفة ذاتيّة، ووجوداً مكانيّاً، واعتقاداً خاطئاً بوجود منبّه حسيّ.**

يُنظر: فرويد، سيغموند.*الموجز في التحليل النفسي*،تر: سامي محمود علي ، د.ط، عبد السلام القفاش، مكتبة الأسرة، القاهرة، 166.

[3] **) يُنظر:المرجع السابق،167.**

[4] **)يُنظر: فرويد، سيغموند.تفسير الأحلام،تر: مصطفى صفوان،دار المعارف، القاهرة،527،1958. نقلاً عن فرويد، سيغموند.*الموجز في التحليل النفسي*،تر: سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش. 67.**

[5]) **HIRMAN ,J. *Trauma and Recovery, The aftermath Of Violence From Domestic Abuse To Political Terror* , Basic Book ,New York, 1992, 33.**

* **يحيل مفهوم العصاب(Neurosis) إلى اضطرابات وظيفيّة غير مصحوبة باختلال جوهري للواقع، كما هو الحال في الأمراض الذهانيّة. ويميّز التحليل النفسيّ بين نوعين من الأعصبة ، وهما:الأعصبة الفعليّة(Actual Neurosis) ،مثل: (النيروستينا، وعصاب القلق). والأعصبة النفسيّة (Psycho- Neurosis) ، وأهمّهما: (الهيستيريا، والعصاب الوسواسي).**

تعاملهما مع العالم المحيط بفرديّةٍ، تجعلهما منغلقتين على حدث الصدمة؛ لذلك لابدّ من إلقاء الضوء على علاقة الشخصيّتين بالنّاس من حوليهما.(فأولانا) تفضّل عدم الجلوس مع الزوّار الذين يأتون إلى منزل حبيبها (أوديني**Odingio**)، الزوّار المثقّفون الذين يتداولون الأمور السياسيّة المتعلّقة بقضيّة (البيافريين)على الرغم من استمتاعها قبل صدمتها بلقاءاتهم الثقافيّة، وأحاديثهم الحماسيّة عن (تأسيس جمهوريّة البيافرا) ، فتقول الكاتبة: ((لم تحبّ أولانا سماع تلك الحكايات، كما لم تحبّ الطريقة الخفيّة التي كان ضيوفها يرمقون بها ساقيها، كأنّما يكتشفون الورم الذي سيفسّر لماذا لا تقدر على السير))[1].إنّ نفور الشخصيّة من أصوات المثقّفين الذين كانت واحدة منهم، يُعلن عن سقوط ثقافة المقاومة(البيافريّة) في حماية حلم (الإيبو) بالوطن المستقلّ، ثمّ إنّ شعورها بتطفّلهم على جسدها المُتعب هو تبخيسٌ لذاتها المثقّفة المؤمنة بانتصار (البيافريين)، التي أفنت تربيتها بمبادئها المحلّية المُضادّة لصيحات (الكولونياليّة البريطانيّة)، وأتباعها المخرّبين. في المُقابل، إنّ حسّ المسؤوليّة الوطنيّة عند (مها) يختلف عنه عند(أولانا)؛ إذ لا يعوّل على قضيّة مُقاومة الأقليّات، واندفاعهم لحماية وجودهم الأصيل على أرض العراق، بل تُمجّد الشخصيّة حساسيّة وجود المسيحيين، بوصفهم أقليّة يحقّ لهم الخروج من (العراق) المُشتعل بنار الإرهاب والطائفيّة؛ لذلك إنّ حالة عزلتها التي تبني بها حاجزاً وهميّاً مع من حولها، تُترجم حقدها على مَن تزعم أنّهم أخسروها وليدها؛ نظراً لانتمائها الدينيّ. ويظهر النص الآتي سلوكها العُصابي عند تكرار رؤية (يوسف) صاحب المنزل الذي انتقلت إليه بعد الحادثة في غرفة أخته المتوّفية، القدّيسة(حنّة) ،التي نذرت نفسها للعبادة.((دخل يوسف عليّ ذات مرّة وأنا نائمة. لابدّ أنّه سمعني أنزل .نظر إليّ ثمّ خرج ولم يقُل شيئاً بعدها عن الموضوع ولم يسألني لماذا أنام هُناك)).[2] تنفضّ(مها) بعزلتها عن الآخرين مثل انفضاض (أولانا) عن المثقّفين، لتنطوي على نفسها، ومخيّلتها لاجئةً إلى الصمت المُطبق في رحاب القداسة التي تُحيي مجازيّاً انتماءها المُستباح؛ إذ يُشعرنا امتناع (يوسف) عن طرح الأسئلة عليها بتفاقم حالتها النفسيّة إلى حدّ عدم تدخّله في شؤونها،خوفاً عليها من إيذاء نفسها، على عكس زملاء (أولانا) الذين لم يكترثوا لمشاعرها ألبتّة.

ويُمكن أنّ يُؤوّل سلوكا الشخصيتين المصدومتين باعتزالهما المجتمع، وكرههما إيّاه، بالذّهان(**Psychosis**)، ويرى (فرويد) بأنّه يظهر((حين يغدو الواقع مؤلماً إلى حدّ يعجز معه الشخص عن مواجهته نفسيّاً))[3]؛ أي إنّ يأس (أولانا) من جدوى مهمّتها الثقافيّة في الحرب(البيافريّة)، جعلتها تعيب الموقع الهويّاتي للمرأة الذي بدا خارجيّاً(جسمانيّاً)، إن جاز التعبير، يقيدّ دورها الفاعل في زمن الحرب ؛ هذا ما يصف سلوك قلقها، وكرهها النّاس المحيطين كنايةً ثقافيّة عن منفيي الأنثى: الفكريّ والثقافيّ. ويعدّ علامات احتجاجٍ، ورفض لدورها الثابت في زمن الحرب[4]؛ الأمر الذي يكبت صدمتها، لتتغذّى سرديّتها بالجمود أكثر، فهي غير قادرة على مشاركة الجنود (البيافرين) القتال، لاسيّما أنّ جسدها المصدوم مُنهك فيزيولوجيّاً ولا يتحمّل المشقّات؛ أي هي شاهد عيان؛ لا قادرة على الإدلاء بشهادتها على ما رأت من

يُنظر: فرويد، سيغموند.*الموجز في التحليل النفسي*،تر: سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش، مكتبة الأسرة، القاهرة، 140.

[1])ADICHIE, N, CH . *Half of a* yellow sun, 205.

[2]) أنطون،سنان.*يا مريم*،ص137.

[3]) فرويد، سيغموند.*الموجز في التحليل النفسي*،تر: سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش،134.

[4]) BRINDA. M.*Rituals of Memory in Contemporary Arab Women's Writing*.Syracuse ,NY: Syracuse University Press,2007, 139.And also ,see: SERTHA. D.W. *"Dark Swoops": Trauma And Madness in Half Of a Yellow Sun*. 148.*Madness in Block Women's Diasporic Fictions: Aesthetics of Resistance*.Editors: Caroline & C.A.Brown and J.X.K.John.X.K.*Gravery* ,Palgrave ,Macmillan ,2017,200.

مجازر وحشيّة، ولا تمتلك الكفاية الجسديّة التي تخوّلها مهمّة القتال العسكريّ في زمن الحرب، ليختلف عنه يأس (مها) التي نَعَت موقع الهويّة الداخليّ(الأنثوي)، المُتمثّل بالأمومة، التي تجعل المتلقّي يعتقد أنّها أصبحت عقيمة عن الإنجاب، وكأنّها ليست في مقتبل عمرها؛ الأمر الذي يُصمّت سرديّتها بمزيدٍ من الغموض السوداوي؛ وبذلك نجد أنّ اقتران السلوك العصابي بالواقع السياسي في زمن الحربين: (البيافريّة، والعراقيّة)، يُقارب تفسير(فرويد) الذي يُبيّن أنّ ((إسقاط المضمون المؤلم على العالم الخارجي هو الحيلة الدفاعيّة التي يلجأ إليها الأنا في البارونيا*))[1]؛ إذ إنّ نفور (أولانا) من أصدقائها المثقّفين الذين يُشعرونها بالابتزاز، واعتكاف (مها) في عالم (حنّة) المقدّس، يُشعرنا بأنّ الشخصيّتين تحمّلان العالم وزر ما عاشتاه من أسى، بتهويليهما لمصابيهما الفرديّين أمام هول الواقع السياسيّ المُزري، فأنا (أولانا) تسقط هول مشاهد القتل على عجز السياسة (البيافريّة) عن تحصيلها دوراً فاعلاً في زمن حرب (البيافرا)، وأنا(مها) تُسقط استحالة استرجاع طفلها الذي أسمته(بشّار) مع أنّها لم تعرفه، على لعنة أن يولد الإنسان مسيحيّاً في(العراق).

يُمكن القول:إنّ تجلّي السلوك العصابي للشخصيّتين بكوابيسهما، يُمثّل ردّة الفعل الوحيدة السليمة التي تُقاومان بها العنف الشعبيّ[2]، الذي يعصف (بنيجريا) الغارقة بحربٍ غير متكافئة عسكريّاً، وديموغرافيّاً ، مثل (حرب العراق)؛ الأمر الذي يحبس صوت السرديّة الفرديّة، فلا يُمكنها قصّ حبكتها؛ ممّا يُفاقم إحساسيهما بالتهميش في ظلّ جماعات أقليّات: (البيافريّة في نيجريا، والمسيحيّة العراقيّة) مهمّشة، لا صوت لها من منظوريهما.[3]

2-تجاوز الصدمة(Working–Through).

تعني هذه الاستراتيجيّة أنّ الضحيّة تتغلّب على الصدمة بعد عيشها الآثار الجانبيّة النفسيّة للحدث الصادم؛ فالشخص المصدوم متأهّب في هذه المرحلة لتقبّل الصدمة، بوصفها جزءاً من حياته؛ لأنّه يُدرك خصوصيّتها الفرديّة ،فيبدأ بتعليم نفسه كيفيّة التعايش معها.[4]وستتمّ معالجة استراتيجيّة تمثيل الشخصيّات الصدمة في تناول ناحيتين اثنتين:(التأقلم والتواصل– الاستشفاء)*؛إذ يتمّ تخطّي الصدمة بالكفّ عن مُحاكاتها ذاكرةً وجسداً بالاستجابة إلى الواقع المحيط، وإيجاد منفذٍ يجعلها حدثاً مُستقلّاً، لا يتوغّل في حيوات الشخصيات وسلوكها على نحوٍ عُصابيّ مرضيّ. ويزعم المحلّل النفسيّ الثقافيّ(لاكابرا): أنّ((استراتيجيّة التجاوز تُمكّن الضحيّة من إحراز مسافةٍ عقليّة لتقييم المشكلة))[5]، مسافة الأمان التي تعيش فيها الضحيّة أزمة صدمتها المُنقضية على نحوٍ((تُفرّق فيه بين الماضي،

---

* **باراونوي: شبه هذياني(Paranoid). يُستخدم وصف(بارانوي) لوصف عددٍ من الظواهر، والحالات ، والاضطرابات النفسيّة التي تشترك في توهّم أو ضلال الاضطهاد ، والعظمة. وتتطوّر بعض الاضطرابات النفسيّة التي تسقط فيها الأفكار والمعتقدات على الآخرين. الشربيني ، د.لطفي .*معجم مُصطلحات الطب النفسي*،131.**

[1] **) فرويد، سيغموند.*الموجز في التحليل النفسي*،تر: سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش،141.**

[2] **) See: SERTHA.D.W. *"Dark Swoops": Trauma And Madness in Half Of a Yellow Sun*. P 148.*Madness in Block Women's Diasporic Fictions: Aesthetics of Resistance* .Editors: Caroline & C.A .Brown and J.X.K .John. X.K. *Gravery* ,Palgrave ,Macmillan ,2017, 149.**

[3] **)See:ANDERSON .S.*Reading of Trauma and the Body*.NewYork,Palgrave Macmillan,2012, 63.**

[4] **)LACAPRA.D.*Writing History ,Writing Trauma*. 22.**

* **ملحوظة: تبنّى البحث هاتين التسميتين بعد قراءة استراتيجيّة التجاوز وخاصّة مرحلة الاستشفاء تسهيلاً لآليّة تحليلها ؛ لذلك تخيّر كلمة التأقلم، ليدلّ على مرحلة التجاوب مع التجاوز، التي تعدّ جزءاً من مرحلة الاستشفاء.**

[5] **)LACAPRA.D. *'"Acting-Out" and "Working-Through" Trauma',* Shoah Research Center New York: Cornell University, 1998), 4, accessed April 28, 2011.**

والحاضر، والمُستقبل))[1]؛ فمنظورها إلى الصدمة لا يجعلها حبيسة جمودها الزمنيّ المُثبّت عند نقطة لا تُفارقها، بل تحاول الشخصيّات أن تتماهى مع رسوخ ألمها عند لحظة الصدمة الفاصلة، والتدفّق معها، بإيجاد حيّزٍ حياتيّ يُشرعن الأوجاع النفسيّة في منظومةٍ حياتيّة، تفكّر كيف عليها أن تمضي مع تقدّم الأيّام وتنساها، غير أنّ نسيان الشخصيّات المصدومة في طور التأقلم هو تناسٍ، غايته التحفيز؛ للتكيّف مع الذّات المتأزّمة نفسيّاً، ومجتمع الحرب عديم الإنسانيّة،إذاً،((فالناجي من الصدمة عليه أن يخلق له مُستقبلاً))،[2]يصنع فيه مسار حياته ، ويحرّر به سرديّته الخاصّة.

وتتلخّص مرحلة التخطّي بأوجه تشابه واختلاف، تعبّر عنها القضايا الآتية:

أ-تأقلم(أولانا، مها) مع الصدمة، ودلالته الثقافيّة.

تتشابه الشخصيّتان ببحثهما عن طوق النجاة الذي يخلّصهما من صمت سرديّتهما المطبق،لتختلفا في مسارات تأقلمهما الاجتماعيّين، التي تعكس مدى تحرّر سرديّتيهما الفرديّة من إسار الصمت الكلاميّ الذي يضيّق الخناق النفسي عليهما. أمّا دلالة تأقلم الشخصيّتين(أولانا، ومها)، فتتفق مع مقترح الناقد الثقافي (لاكاربا) القائل:((إنّ استراتيجيّة التجاوز تحوّل الضحيّة الأُنثى إلى عنصرٍ أخلاقيّ فاعل في الحياة))[3]على اختلاف مفهوم الأخلاقيّ، وفاعليّة إعادة تمثيل الشخصيّتين له من منظور ثقافة مجتمعيهما وعاداتهما؛ إذ ينشغل تمثيلاهما بإعادة التفاعل مع سلطة الأنساق المجتمعيّة المتحكّمة في صناعة الحرب الخاصّة بكلّ شخصيّة في داخل النطاق الاجتماعي.

كانت(أولانا) ترفض الدخول إلى مؤسسة الزواج قبل الصدمة؛ لأنّه عرف لا يتّفق مع ثقافتها المجتمعيّة التي ترى الزواج قراراً صارماً، يهدّد خصوصيّة حياتها المستقلّة والمُنفتحة. بيدَ أنّها وافقت على الزواج من السيّد (أودينيو) في غمار صدمتها زمن اشتعال حرب(البيافرا)،تقول الكاتبة: ((كان الأمر يهمّها، قرار ألّا تتزوّج[...]،لكنّ الإطار القديم الذي يُناسب مثلها كان قد ذهب الآن حيثُ (آريزي)، والخالة(إيفيكا)، والخال (مبيزي) سوف يبقون دائماً وجوهاً مجمّدة في ألبومها))[4]؛ إذ يحمل قرار قبولها ذلك ردّة فعلٍ عكسيّة على كوابيسها السوداء التي حطّمتها نفسيّاً، وعطّلت دورها الثقافيّ في صدّ نوبات الصدمة، وهجماتها الاستفزازيّة بعد أن اقتنعت بلا جدوى الموقف الفرديّ المُخالف للنسق المجتمعيّ الجمعيّ، ليُجسّد قبولها الزواج رضوخاً إلى ((التأطير الثقافيّ والاستعماريّ لدور المرأة))[5] من منظور امرأة مُنفتحة فكريّاً؛ (فأولانا) تُريد إقناع نفسها بالتماهي مع فكرة الزواج الشرعيّ اجتماعيّاً كي تضمن استعطاف ذاتها المهزومة بشعورين اثنين،هما: شعور الأمان، الذي يخفّف ثقل الزمن الذي يأسرها بماضويّته؛ لأنّ الحياة تمضي، والحرب ثابتة الخطوات إلى الوراء. وشعور السكينة، الذي يجعلها تُسلّم بالتفكير النسقي الجمعيّ، لتأمن سياسيّاً ما هو أبأس من آلام صدمتها الجسديّة والنفسيّة . أمّا(مها) فتختلف عن (أولانا) بأنّها متزوّجة، ودفاعها عن صوت سرديّتها كان دفاعاً عن الأمومة المنكوبة في زمن الطائفيّة، لكنّها احتمت بعطف زوجها على الرغم من نفورها عاطفيّاً منه، هاربةً إلى عوالم تخيّليّة، تُحوّر صدمتها إلى نشاطٍ إنسانيّ، تنفّس فيه عن أوجاعها النفسيّة، لتجد نفسها في عالم التديّن الذي يُثري انتماءها المسيحيّ في وسط صراع الإسلام المتشدّد، تقول(مها):((وبدأت أزور بستان الزيتون حيثُ صلّى المسيح صلاته الأخيرة. فكنت أسجد ليلة كلّ جمعة لأصلّي لمدّة ساعة وأقرأ ما يقوله المسيح لي في كتاب"كنز

---

[1]) **LACAPRA.D. *'"Acting-Out" and "Working-Through" Trauma*,2.**

[2])**CAURTH.C. *Introduction :Re-capturing The Past* ,*In Explorations In Memory*, 153.**

[3]) **DOMINICK.L. *"Acting-Out" and "Working-Through" Trauma', Shoah Research Center* ,Cornell University, New York 1998. 2.**

[4])**ADICHIE. N.CH . *Half of a* yellow sun,234.**

[5]) **SERTHA. D.W. *"Dark Swoops": Trauma And Madness in Half Of a Yellow Sun*, 148.**

العبادة")).[1] وعالم الفضاء الرقميّ الذي ألهاها عن مأساتها الشخصيّة، وأنسَاها أنّها تعيش في العراق المتخلّف،والمُتناحر طائفيّا، تقول:((عندما لا أكون في بستان الزيتون وأجد فسحة بين ساعات الدراسة كان الفيسبوك هو نافذتي الأخرى على العالم. فكنت أفتحها بين حينٍ وآخر، لأتابع أخبار أختي شذى والأقرباء الذين توزّعوا في المهاجر))[2]؛إذ يُقارب فضاء الفيسبوك **(Face Book)**، بوصفه عالماً افتراضيّاً **(Virtual)** يعدّ في عالم النظريّة النقديّة الثقافيّة حكماً عن الواقع، وأصالة التجربة، ويمتاز بعلاقة ثنائيّة مع الواقع. ويصنّف **(جان بوديار)** في كتابه**(المصطنع والاصطناع)** الافتراضي بالتخييل لأشياء ليست واقعيّة، ولكنّها واقع،أو تمثيلات تحلّ في النهاية محلّ الواقع[3]؛ إذ تتأى(مها) بنفسها عن محاكاة حالات التشدّد في العراق الذي يستبيح وجودها المسيحيّ، وفضاء الحرب العراقيّة التي تلفظ الإنسان المسيحيّ، وتعدّه دخيلاً على النسيج العراقيّ، لتختار عراقاً يجمعها بشتات أقاربها المسيحيين المتوزّعين في بقاع العالم،إذاً،يُنتج خطاب صدمتها المُناهض للتأقلم مع الاقتتال الإسلاميّ باندماجها في عالم التديّن، والعالم الرقمي الافتراضيّ، خلافاً لخطابيّ تأقلم (أولانا)الذي يتفاعل مع الفكرين: الاستعماريّ الحربيّ، والنسقيّ الاجتماعيّ؛ الذي يختزل وظيفة المرأة زوجة. فالشخصيّتان تختاران الهروب من وحدة فردانيّة الصدمة، باحثتين عن منافذ تُسكت عُزلة السرديّتين اللتين تصفانهما بالمرأتين المُعنفتين نفسيّاً، والرافضتين استضعاف حساسيّتيهما ؛ لأنّهما عاجزتان عن تخطّي الصدمة ذاكرةً، إلّا أن (أولاناً) تتخطّاها جسداً بالزواج ،(ومها) فكراً بالعالم اللاواقعي ؛ هذا ما يجعل نطاق التأقلم عندهما معركة ضبط للا وعييهما المنشغلين بانتزاع صوت الحكايتين ، وإشغال وعييهما بتقبّل الصدمة أمراً طبيعيّاً، طارئاً على حياتيهما؛هذا ما تُفسّره انشغالاتهما بتفريغ الحدث الصادم في عوالم تتفق والمجتمع الذي نبذنه وأقصاهما،لافي عوالم تتّفق والذّات المشغولة بالتخبّط في مصاب الفقد. (فأولانا) تؤقلِم الصور البشعة في ذاكرتها بقبولها الزواج، حلّاً واقعيّاً يجعل مشاهد الطفلة، وخالها، وخالتها مجرّد ذكريات مؤلمة، واجدةً أنّ الماضي لن يعود، فهم أصبحوا مشاهد مركّزة تُثقل ذاكرتها، وتجعل موقع ذاتها المصدومة ثابتاً في الزمن النفسيّ ، فتتحدّاه بالزواج الذي يمثّل ديناميّة الحياة في زمن الحرب. بينما تتواصل (مها) مع فقدان وليدها مع عالمين مُتضاربين هما: الرقميّات ، والعالم المقدّس، عالمان يُقاومان الإيديولوجيّة الأبويّة التي تصفها امرأة (مسيحيّة) تترجم خسارتها لطفلها بأقليّتها الدينيّة في زمن الحرب (العراقيّة)؛ ويُعلّل ذلك بأنّ (مها) انكفأت على تمويه تفاعلها مع وحدتها، وخذلانها من دون أن تكون على تماسّ حيّ مباشر في تواصلها مع الآخرين، لتقصّ الصدمة حكاية كاملة تستحقّ السرد؛ لأنّ مواساة العالم الواقعي إليها تزيد من كرهها لأقلّيتها، وحقدها على العالم.

-العلاج* من الصدمة(Trauma- Recovery) من التخطّي إلى الاستشفاء(Healing of Trauma).

تتطلّب عمليّة الاستشفاء التي لا تفترض الشفاء التام من الصدمة وجود ثلاثة أطراف تنسُج سرديّة كلّ شخصيّة على حدة ،وهي:(الشاهد*، الإدلاء بالشهادة** ،والمُستمع***).ويقول النّاقد الثقافي (جان جانيت**Jan- Janet**):((إنّ الإنسان

---

[1]) **أنطون،سنان.*يا مريم*،136.**

[2])***المصدر السابق*،ص137.**

[3]) **يُنظر: بينيت، طوني وآخرون.*مفاتيح اصطلاحيّة جديدة-معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع*، تر: سعيد الغانمي،ط1،المنظّمة العربيّة للترجمة، بيروت،2010، ص105.**

* **لا يُقصد بالعلاج،هنا، العلاج الطبيّ، بل تحرير سرديّة كلّ شخصيّة مصدومة عن حبكتها القصصيّة.**

يتخطّى الصدمة عندما يُحوّل ذكرى الحادثة إلى ذكرى سرديّة، فتندرج الصدمة في حكاية كاملة تعود إلى الماضي))[1]؛ أي عندما يقرّر أنّ يسرد قصّة صدمته، لتكون حكايته الخاصّة المعبّرة عن تجربته الفرديّة التي يواجه بها خداع الصدمة النفسيّ لمعركة ذاكرته مع الزمن.و((عندما يتمكّن الإنسان من التلاعب بتلك السرديّة، وتغيير تفصيلاتها في كلّ مرّة يرويها، يكون في طريقه إلى الشفاء؛ إذ إنّه يُصبح مؤلِّف سرديّته))[2]؛أي يُقصد بالتلاعب السردي، امتلاك المصدوم الجرأة على التواصل مع المحيط بروايته قصّة صدمته،ونسجه السياقات الحكائيّة حولها، ويتجلّى ذلك بمايأتي:

أ- سرديّة الإدلاء بالشهادة على الحدث الصادم، ودور المُستمع.

تتشابه سرديّتا(أولانا، مها)، بوصفيهما ضحيّتين شاهدتين على صدمة الحرب في حقيقة التجسيد النفسيّ للمعاناة الاجتماعيّة، التي تُثير موضوع التعافي من صدمة استعمار الحرب ، بوصفها مُشكلة فرد شاهدٍ، تشغله مسألة ضبط لغة التعبير عن ألمه[3]؛إذ تتردّد الشخصيّتان بين إخبارِ حكاية صدمتيهما، والامتناع عنه، تبعاً لما تُمليه الظروف الاجتماعيّة والنفسيّة الخاصّة بكلّ موقف مواجهةٍ تخوضانه من جهة أولى،ومدى استجابة المُستمِع إليهما من جهة ثانية؛ إذ تُقسم الشهادة بين نوعين من المستمعين،هما: المُستمع (المتعاطف)، والمستمع (الآخري).

أ-الشهادة، ودور المستمع المُتعاطف*Emphatic Listener*): (أودينيو) مُستمع(أولانا)(لؤي)مستمع (مها).

تؤدّي عمليّة الإدلاء بالشهادة عن الحدث الصادم لفظيّاً، أو كتابيّاً وظيفة علاجيّة، ويُسمّى هذا النمط من القصّ أو السرد بمصطلح (فرويد) العلاج بالكلام (**Cure- Talk**) الذي يرى فيه المحلّلون النفسيّون الثقافيون، مثل:(جوديت هارتمان) راحةً من معظم تناذرات كرب مابعد الصدمة[4] أو كما يقول الشعر العربي"دواء الهوى بث الهوى واشتكاؤه" ،لكنّ ثقل عمليّة العلاج تقع على عاتق المُستمع المُتعاطف الذي يجب عليه إسداء اهتمامه إلى الشاهد على

---

* **-الشاهد(*The Witness*).ترى المحلّلة الثقافية(إليزابيث جيلينز *Elizabeth Jelins*) أنّ مفهوم الشاهد على الصدمة، يحمل دلالتين أوّلهما:((الشخص الذي يعيش تجربة حدث ما يستطيع فيما بعد سرده أو الإدلاء بشهادته عنه)). وثانيهما: أنّ الشاهد هو ((المُراقب، أو الشخص الذي يحضر لحظة وقوع الحدث شاهد عيان[...])).**

DONNE.J. *Deviation Upon Emrgent Occasions:Together with Death Duel* ,Ann Arbor University of Michigan,2003, 61.

** **الإدلاء بالشهادة *(Testimony)*.على الرغم من العبء النفسيّ المُلقى على كاهل الضحيّة للإدلاء بالشهادة، تعدّ عمليّة سردها الحدث الصادم أمراً محوريّاً؛ لأنّه يتعلّق بكلّ ما لا يمكن التعبير ، و الإخبار عنه ،أو إسماعه ، أو نقله إلى الآخرين. إنّ ما يهمّ في عمليّة الإدلاء بالشهادة ليست الحقيقة التاريخيّة التي يُدلي بها الشاهد على الحدث الصادم ، بل طبيعة المفهومات التي يُسرَد عنها؛ فالقضيّة الأساسيّة التي تتمحور حولها آليّة الإدلاء سواء أكانت متقطّعة، أم متواصلة، أم واعية، أم لاواعية، ليست كميّة المعلومات ،أو الحقائق، بل كيفيّة الإدلاء بالشهادة والإقرار بها.**

See:FELMAN.Sh. And DORI. L.*Testimony of Witnessing in Literature ,Psychoanalysis ,and History*, Routledge, NewYork, ,1991, 85.

*** **المُستمع(*The Listener*). يحتاج الناجي من الصدمة في عمليّة الإدلاء بالشهادة إلى صاحبٍ يُشاركه عاطفيّاً ما يقول، وهو، المُستمع الذي يعدّ شاهداً آخر على الحدث الصادم؛ إذ يُساعد الضحيّة بتكريس انتباهه إلى قصّتها حتّى تتمكّن من التصالح الذّاتي مع نفسها من منطلق الفكرة القائلة:" أنا معك في كلّ مرحلةٍ من مراحل خسارتك إيايّ، فأنا شاهد عليك" .**

See: FELMAN.Sh. And DORI..*Testimony of Witnessing in Literature ,Psychoanalysis ,and History*, 92.

[1]) CAURTH,C. *Introduction :Re-capturing The Past ,In Explorations In Memory*, 153.

[2]) KOLK and HARD.*The Intrusive Past,* 237-238.

[3])See: GRAPS .S and BUELENS.G. *"Introduction to Trauma Novels '',Studies in the Novel*,40,1&2(Spring&Summer),2008, 4.

[4])HERMAN ,J. *Trauma and Recovery,The aftermath Of Violence From Domestic Abuse To Political Terror*, 37.

الصدمة ،موفّراً إليه الراحة والطمأنينة بالاستماع اليقظ ، وماعدا ذلك فإنّ السرديّة تكون إعادة تحقيق وثائقي في الأحداث التاريخيّة، أو تكراراً للسرديّة من جديد[1].

تشترك (أولانا، ومها) بأنّهما كانتا مضطرتين إلى الاستماع الدّائم، وبحاجة ماسّة إلى السماع؛ هذا ما عكسته تلقائيّاً تباينات استجابات المُستمعين المُتعاطفين، التي تبيْن نفسيّاً أنّ تردّد الشخصيّات، بين إخبار السرديّة، أو الامتناع عنه، يعبّر عن عُنف القصّة الفرديّة.[2] أمّا إخبارها، فهو إعادة صوغٍ جديدة لتجربة المصدوم، بتحرير الحبكة من غموضها السوداوي؛ إذ نجد في الروايتين أنّ المُستمع المُتعاطف يُشاطر الضحيّة عراكها مع ذكرياتها وبقايا ماضيها المصدوم.[3] فيتشابه كلّ من (لؤي) زوج (مها) ، و(أودينيو) حبيب(أولانا) باستيعاب صوت الضحيّتين الخائف من المواجهة عقب الحدث الصادم، ومداراته نفسيّاً، علماً أنّ الاستيعاب لم يضمن قصّ سرديّة الصدمة بأكملها، أو إتمام ثغراتها الناقصة. (فلؤي) لم يترك زوجته (مها) وحيدة بعد إجهاض ولدها رغم نفورها منه لفترة طويلة، حتّى إنّ استجابته إلى ألمها النفسيّ كانت حدّاً فاصلاً بين تفاقم اضطرابات صدمتها، وهلوساتها الدّائمة، والاعتراف بدورها الأنثويّ المعطّل، تقول (مها):((كنت أنكمش كوردة خائفة كلّما حاول "لؤي" أن يُداعبني.أدركت بأنّي تغيّرت كثيراً حتّى أنّني اعترفت له ذات مرّة قائلة:" وردتك ذبلت" عندها عانقني وقال، كما كان يقول دائماً:"إنتي وردتي".لكنّه طمأنني وهو يقبّل جبيني: " لا، وردتي تتعب، بس ما بتذبل"))[4].لقد عزّز (لؤي) من معنويّات الضحيّة(مها)، مُعلياً شأنها الروحيّ في حياته قبل الجسديّ؛ إذ أراد أن يقنعها أنّ الجسد سيشفى مع الزمن بمحبّته العارمة لها، وسيستعيد أداءه الحيويّ من جديد. لكنّه لم يُخاطب سرديّتها الخاصّة التي تربط إجهاضها بانتمائها الحسّاس ثقافيّاً،مثل حساسيّة أداء جسدها المُتعب، ربّما لأنّه غير مقتنع بنسفها لكيانها الأنثويّ في السجالات العسكريّة التي لاطائل منها، تماماً كاستجابة (أودينيو) إلى (أولانا) يوم عودتها إلى منزله عقب صدمتها، مُمتلكةً ناصية حكاية سرديّتها التي أرهقتها بالكوابيس، تقول الكاتبة:((حكَت "أولانا" لأودينيو ما رأت. حكَت له عن الثياب الغامضة على الجثث التي بلا رؤوس في الفناء، عن الأصابع المنزوعة من يد الخال مبيزي، عن العين المقلوبة للوراء في رأس الطفلة داخل ثمرة القرع[...])).[5]كان دور(أودينيو) الاستعطافيّ لجماً حادّاً لإكمالها تتمّة المشاهد التي تُفرّغ ثقل ذاكرتها المثخنة بالمشاهد الدمويّة ، وتحرّر السرديّة لفظيّاً.((لكنّ أودينيو كان يقول دائماً: ششش يانيكيم. سوف تكونين على مايُرام))؛[6] أي اكتفى المُستمع أن يخفت صوت نجاة الضحيّة بالسرد ، بل مُدارةً لشدّة كآبة حالتها النفسيّة.

على الرغم من عدم اكتمال سرديتيّ (مها،و أولانا)، فقد تخطّتا عقبة البوح عن الصدمة، لتكونا مستعدّتين لمرحلة أخرى، تُمكنّ السرديّة من الإدلاء بصوتها الذي بات مُيسّراً أو متأهّباً على أقلّ تقدير للدخول في طور العلاج النفسيّ الثقافيّ؛ أي إنّ إشفاق المُستمع الذي وفّر للشخصيّتين طقساً استيعابيّاً، لتلقّي حكايتيهما مكّنهما من عبور مشكلة الحكاية– الأنا إلى الحكاية –الهي، (فأولانا) أصبحت تعي أكثر أنّ (أودينيو) طرف مُيسّر لعقدة الحكاية المكبوحة، على الرغم من إسكاته إيّاها عن البوح الكامل بقصّة صدمتها، ومع أنّها لم تشعر بالراحة في حوارهما الذي اكتفى به طرفاً مُتلقّياً، لا مُستمعاً مُيّسراً ، لكنّه ساعدها على اعتراف الآخر بألمها الذي ما عاد خاصّاً. أمّا زوج (مها: لؤي)، فقد

---

[1])DONNE.J. *Deviations Upon Emrgent Occasions:Together with Death Duel*, 65.

[2])See:Felman,Shoshana and Dori Laub.*Testimony of Witnessing in Literature ,Psychoanalysis ,and History*, 58.

[3])See:I*bid*, 58.

[4]) أنطون، سنان. *يا مريم*، 131.

[5]) ADICHIE. N. CH . *Half of a* yellow sun, 206.

[6])*Ibid*,206.

شابه(أودينيو) حبيب(أولانا) باندماجه في يوميّات الضحيّة المصدومة التي يعرف حكايتها، مُتابعاً إيّاها بلهجٍ عاطفيّ، وبتصميم معرفيّ مُتعمَّد، حال دون تأييده أحقيّة موقفها المُعادي للعراق الذي يعدّ الجزء المخفي من حكاية الصدمة؛ هذا ما عزّز لدى الشخصيّتين شعور ما بعد التعاطف الذي يعني أن يُدرِك الطرف المُشفَق عليه إشفاق المُستمع؛ وذلك بقدرة الضحيّة تحرير نفسها من ضعفها؛ محطّ إشفاق الآخرين عليها؛ عندئذٍ تميز الشخصيّة المصدومة نفسها عن الآخرين بأنّها كانت ضحيّة، ومتأهّبة للمواجهة، والتغيّر الإيجابيين.

ب-الشهادة، ودور الآخر المُخاطِب(Addressable-Othe) في الاستشفاء من الصدمة(آوجو) مُخاطب(أولانا)-(يوسف) مُخاطب(مها).

بحضور المُستمعين، يكشف السارد عن ما يُسمّى (بالآخر) المُستمِع، ليُخاطب به الضحيّة؛ إذ يُمثّل (أنت) الشاهد؛ فيفهم، ويَسمع صوت الضحيّة بتأنٍّ، يجعل ما يُمكن ترجمته بالمُستمعين المُخاطبين شاهدينَ مُشاركين، ومُرتَقبين طال انتظار الضحيّة لهم.[1] فهم قادرون على سماع وجع ذكرياتها، ويُدركون إرهاقها من قيود سرديّتها[2]؛ أي يؤدّي المُستمع المُخاطِب مهمّة المُعالج الثقافيّ،إن جاز التعبير، الذي يمضي بالضحيّة من مرحلة العلاج إلى الاستشفاء، فتُقصّ سرديّتها لفظاً، أو كتابةً، أو بوسائل أُخَر تشرح السرديّة بأخرى، تستنبط مُضمَرات أسئلة حكاية الضحيّة الخاصّة، وتعيد تجميع عناصرها المُبعثرة، لتؤوّلها حكاية كاملةً،وشاملة تُبهر الشاهد نفسه بمحتواها. ففي الرواية النيجريّة نجد أنّ المُستمع (**آوجو Ujo**) يمنح سرديّة (أولانا) علاجاً يُسمّى بالعلاج (السكريبتي-**Scriptho therapy**) ، ويعني هذا النمط من العلاج((عمليّة التدوين الكتابيّة في أثناء وخارج تجربة الصدمة))؛[3]أي يُسجّل المُستمع بإنصاتٍ تفصيلات خاصّة، وحساسّة في حياة الضحيّة، تُفاجئ المصدوم بأنّ حكايته جديرة بالاهتمام ؛ أي يمنح المستمع السرديّة منطقاً مشهديّا،وعقلانيّاً، يحاور عقدة حبكتها، ليتمّها حكاية مشوّقة؛إذ يكتب الخادم الصبيّ (آوجو) تتمة حكاية (أولانا) من دون أن تسأله ذلك. تقول الكاتبة:((وضعت أولانا المشط .ظللت أفكّر في شعر رأس الطفلة التي رأيتها في القطار، كان كثيفاً جدّاً. لابدّ كان عملاً شاقّاً على أمّها كي تضفره. كيف كان مضفوراً ؟ سألها آوجو. أدهش السؤال أولانا أوّل الأمر، ثمّ اكتشفت بجلاء الآن كيف كان مضفوراً فبدأت تصف تسريحة الشعر، وكيف أنّ بعض الضفائر كانت ساقطة على الجبهة. ثمّ وصفت الرأس نفسه،العينين المفتوحتين، البشرة الرماديّة. كان آجو يكتب، وهي تتكلّم، كتابته وجديّة اهتمامه فجأة جعلت حكايتها مهمّة، جعلتها كأنّها تخدم هدفاً أكبر؛ ولذلك أخبرته بكلّ ما تذكر عن القطار المليء بالنّاس الذين بكوا وصرخوا [...])).[4]إنّ مُراقبة الفتى(أولانا)، ومعايشته مراحل تطوّر شخصيّتها بدءاً من وصوله إلى منزل السيّد(أودينيو) جاهلاً فقيراً، أراد أن يعمل، ويتثقّف انتهاءً بنضوجه الفكريّ، واستزادته الثقافيّة التي صقلته في زمن حرب (البيافرا)، جعلته على قدرٍ وافٍ من المسؤوليّة التي تحفظ بامتنانٍ ما تعلّمه من (أولانا) التي لم تعامله معاملة العبيد،بل حصّنته بمعارف فكريّة حمته في زمن الحرب، ردّ جميلها بإصغائه إلى ألمها، وكتابة حكايتها كاملة في كتابه عن حرب (البيافرا) المعنون ب(كان العالم صامتاً عندما كنّا نموت **The World was Silent when we are died**)؛ الأمر الذي أشعر(أولانا) أنّ حكايتها دخلت التاريخ الإفريقيّ

[1] **)See:FELMAN,Sh and DORI. L.*Testimony of Witnessing in Literature ,Psychoanalysis ,and History*, 70-71.**

[2] **) *Ibid*,68.**

[3] **)see: MAJDA.R.Atieh&GHADA.M.*Post-Traumatic Responses In The War Narratives OF Hanan al-shaykh's The Story Of Zahra And Cimamanda Nogozi Adichie's Half Of A Yellow Sun,Is this A culture Of Trauma ? First Edition, Inter-disciplinary Press, Oxford ,United Kinkdom,2013,220-221.***

[4] **) ADICHIE, N, CH . *Half of a* yellow sun, 512.**

الإنسانيّ، فما عادت تلك العاجزة عن سرد صدمتها كاملة؛ لأنّ السرديّة باتت في متناول الجميع شاهداً يحرّك نيجيريا، وينذرها بالجرائم المرتكبة بحقّ (الإيبو). أمّا في الرواية العراقيّة، فإنّ علاج(مها) كان علاجاً بالصدمة-**Shock (Therapy)**، وهو مصطلح طبيّ– نفسيّ،يُحيل إلى موضوعيين نفسيين: الأوّل منهما: هو الصدمة(**Shock**) الدّالة على الحدث العنيف، و((يُستخدم التعبير للدلالة على الصدمة بمعناها الحرفيّ أو المعنوي للصدمات النفسيّة، والصدمات الكهربائيّة[...])).[1]أمّا الثاني: فهو العلاج **(Therapy).**((وتعبّر الكلمة عن العلاج أو المداواة بالوسائل المختلفة، ومنها العلاج النفسيّ(**Psycho-therapy**)))[2]. لكنّ مفهوم العلاج،هنا،يقرن تجربة ارتهان(مها) تحت رحمة التنظيمات الإرهابيّة المُسلّحة يوم(تفجير كنيسة النجاة) ، والمُثير في ذلك، أنّ الشخصيّة لم تُصدم نفسيّاً بالمعاملة القاسية، أو حتّى بطقوس التعذيب، أو بمشاهد القتل التي شاهدتها، بل زادتها قوّة وصلابة؛ دفعتها إلى الإدلاء بشهادتها على التاريخ، الذي حمّلته إثم إجهاضها طفلها؛ إذ تجاوزت صدمة (مها) مأساتها الفرديّة بعد أن انكشفت لها مفهوماتها المغلوطة بحقّ المُسلمين أمام همجيّة التنظيمات الإرهابيّة المُسلّحة التي شوّهت الإسلام الحقيقيّ، ومسخت الهويّة الإنسانيّة، فأدلت بشهادتها عن جورهم فاضحة مُجريات تجربتها القاسية درعاً بشريّاً، قائلة:((هذاك انطاني الموبايل حتى احكي وكان لازم الرمانة بإيده ومخلّيها قريبة يهدّدني بيها. كان هو متّصل بقناة البغداديّة وعالخط ويّاهم. قالي: "قوليلهم إنّك وحدة من الرهائن ، ودولة العراق الإسلاميّة تقول لازم تطلقوا سراح خواتنا المُسلمات اللي بمصر وإخواننا المجاهدين للي بالسجون وإلّا كلنا نموت..)).[3] لقد حجّم هول مصاب(مها) أمام جدارتها في مواجهة التنظيمات الإرهابيّة والعالم عبر شاشة التلفاز من ذكرى فقدان وليدها، وجعل القارئ يُدرك أنّها سلّمت بموته قضاء محتوماً، لا تدبيراً إيديولوجيّاً؛ فرضته البيئة والانتماءان الدينيان ؛أي رمّمت سرديّة الشخصيّة الفراغ التاريخيّ الذي اكتنف سرديّة إجهاض وليدها على نحوٍ مُضمر.

عقّبت النّاقدة الثقافيّة(إليزابيث جيلن) على شهادة التاريخ بقولها الآتي: ((يُظهر تناقض الصدمة التاريخيّة الخواء الفكريّ المُزدوج في عمليّة السرد بين إمكانيّة بناء السرديّة واستحالته؛ نتيجة الخواء الحواريّ حيث لا موضوع،ولا جمهور، ولا استماع))[4]لكنّ سرديّة (مها) تتعالى على ذلك، وتتكشّف زيف المعلومات التاريخيّة التي دافعت بها عن صوت سرديّة موت وليدها، لتُدلي بصوت الإنسان المسيحيّ المؤمن بالهويّة الوطنيّة، والانتماء المحلّي قائلةً:((إحنا موجودين هوني صرلنا قرون)).[5]إنّ شهادة(مها) بالانتماء المسيحيّ إلى أرض العراق الوطن، ولاسيّما بعد استشهاد (يوسف) في قلب الكنيسة ،الإنسان المسيحي المُعتدل الذي آواها في منزله بعد إجهاضها، وكان مُناهضاً لمواقفها الدينيّة والوطنيّة ، يشفي الشخصيّة كُليّاً من صدمتها النفسيّة، ويقدّم مفهوماً جديداً عن هويّتها التي ما عادت تريد تذكّر موقف إجهاضها العنصري، الكاره للإسلام والمسلمين،لتذكر في سرديّة شفائها معلومات تاريخيّة قائلةً: ((التاريخ يشهد، وحتّى الآثار تشهد.أديرتنا وآثارنا موجودة)).[6] تمثّل كلماتها طرداً (لمها) القديمة التي تُشبه بتطرّفها الفكريّ ما حصل

---

[1]) **الشربيني ، د.لطفي .معجم *مُصطلحات الطب النفسي*،ص171.**

[2]) **المرجع السابق،189.**

[3]) **أنطون، سنان. *يا مريم*،153.**

[4])**JELIN. E .*State Repression and the Labors of Memory*, Minn University of Minnesota, Minneapolis, 2003, 64.**

[5]) **أنطون، سنان. *يا مريم*، 155.**

[6]) ***المصدر السابق*، 155.**

في الكنيسة، معرّيةً بذلك الهمجيّة التاريخيّة المُزيّفة التي يجب مُشاركتها مع الأجيال الأخرى، بقصد تحذيرها من الإنسانيّة في ذاتها.[1]

يطّور المُستمعان الآخران تطويراً إدراكيّاً وسائل علاجيّة ، تعدّل قصّة سرديّتي الشخصيّتين المصدومتين(أولانا،ومها)، بملئهما الفراغات البينيّة الغامضة بإسقاطاتٍ سياسيّة، واجتماعيّة، تغيّر النصّ الأصلي للسرديّة، وتقدّم عنه نصّاً موازياً يجمع بين النصّين؛ إذ يُلاحظ أنّ (أوجو) عدّ (أولانا) بطلةً في مشروع كتابه الجديد عن حرب (البيافرا)؛ لذلك يُمكن القول:إنّه بإتمامه حكاية رأس الطفلة المقطوعة في نصّ صدمتها، كان متأهّباً للحظة التي سيثبت فيها نضجه المعرفي الذي سلّحه حياتيّاً، وآن الأوان ليأخذ بوساطته موقعاً ثقافيّاً، يثبت فيه (لأولانا) أنّ معاملتها المعتدلة له، تسقط نظريّة العبوديّة بطغيان السيّد على العبد؛ لأنّ العبد(أوجو) ،هنا، قلب الموازيين الكولونياليّة، ليكون سيّد أفكار السيّدة (أولانا) التي لم تعامله معاملة العبد. لكن مثول (يوسف) في نصّ سرديّة(مها) رغم غيابه، كان مثولاً ميثولوجيّاً، يُضاهي مثول (أوجو) في سرديّة (أولانا)؛ إذ حّرر (يوسف) في قلب الكنيسة، (نحنُ) الميّتة في سرديّة صدمة (مها) التي لا ترى موت طفلها إلّا من منظور (الأنا) السياسيّة، لا (الأنا) الأنثويّة، والتي تهاوت بخطاب (نحنُ) الإعلاميّ على التلفاز عقب نجاتها من تفجير كنيسة (النجاة) عن المسيحيين، والمُسلمين العراقيين الهاربين من التطرّف، والعنصريّة التي لا تعرف ملّة أو ديناً.

خاتمة.

-تكشف مرحلة المحاكاة عن ابتزاز الحرب لا وعيي الشخصيّتين؛ ممّا صوّر وعييهما بؤرة سوداويّة ترى بهما العالم المحيط ممرّاً سياسيّا، يعبر حياتيهما اليوميّة، ويجبرهما على النّزاع الفكريّ مع أنّهما خارج نطاق الحرب العسكريّة.

-تكشف مرحلة التجاوز بجانبيها: التأقلم والتواصل، أنّ عمليّة التعالي على ألم الصدمة تخضع لمناوشة الذوات المنغلقة على حكايتها في طور المحاكاة، وتنتهي بالمفاوضات الداخليّة مع العالم الخارجي التي تقبل بموقع الضحيّة موقعاً قابلاً للتغيّر.

-إنّ وصول سرديّة الصدمة إلى الاستشفاء لا يعني انتهاء القصّة، أو انحلال عقدتها، بوجود(المستمع المتعاطف)، بل هو فتح جديد لمساق القصّة الفرديّة التي اكتملت عناصرها، وتجاوزت ذاتيّتها لتُحاكي الواقع الذي يقصّ سرديّة الأمم المتناحرة التي تنتظر من يرمّمها أو يُعيد صوغها.

-يمتلك المستمع (الآخري) القدرة على تقرّي سرديّة الصدمة، تقريّاً يستبدل مأساة نصّ الصدمة الأصلي بقدرة الألم الذاتي على تحوير عصابيّته إلى قوّة مُضادّة في النصّ الموازي للأصلي، إن جاز التعبير.

[1]) See: JELIN, E .*State Repression and the Labors of Memory*, 64.

المصادر والمراجع العربيّة.

[1] أنطون، سنان. *يامريم*، ط1،دار الجمل، بغداد، 2012.

[2]بينيت، طوني وآخرون.*مفاتيح اصطلاحيّة جديدة–معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع*، تر: سعيد الغانمي،ط1،المنظّمة العربيّة للترجمة، بيروت،2010.

[3]الشربيني ، د.لطفي .*معجم مُصطلحات الطب النفسي*، مراجعة: د.عادل صادق، تحرير: مركز تعريب العلوم الصحيّة، د.ط، د.ت، الكويت.

[4] فرويد، سيغموند.*الموجز في التحليل النفسي*،تر: سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش،د.ط ، مكتبة الأسرة، القاهرة، د.ت.

[5] كمال، د.علي.*باب الأحلام*، ط3،المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر ،الأردن ،1994.

المراجع والمصادر الإنكليزيّة.

[1] ADICHIE, N, CH. . *Half of a* yellow sun,NewYork,Kofyld,2007.

[2]ANDERSON .S.*Reading of Trauma and the Body*,Palgrave Macmillan, NewYork ,2012.

[3] BRINDA. M.*Rituals of Memory in Contemporary Arab Women's Writing*,Syracuse ,NY: Syracuse University Press,2007.

[4] BSAAL, Van der Kollk .*The Compulsion to Repeat the Trauma :Re-Enactment ,Re-victimization and Masochism* ,Psychiatric Clinic of North America 12,1989.

-CARUTH ,C .

[5] Introduction "*Un claimed Experience :Trauma ,Narrative and History* ,John Hopkins University Press, Baltimore ,Maryland ,1996.

[6] *Trauma :Explorations in Memory*,John Hopkins University Press, Baltimore ,Maryland ,1995.

[7]CLARA. E. A.*"Strategies of Subversion .The Deconstruction of Madness in Eva's Man Corregidora,and Beloved"*,Atlantis, 2005.

[8]DONNE,J. *Deviations Upon Emrgent Occasions:Together with Death Duel* .Ann Arbor University of Michigan,2003.

[9]FELMAN.Sh. And DORI. L.*Testimony of Witnessing in Literature ,Psychoanalysis ,and History*, Routledge ,NweYork, ,1991.

[10]Goerge F. Rhoads and Vedat Sar, eds. *Trauma and Dissociation in cross-cultural Perspective*. Not Just a North American Phenomenon ,Haworth Press, Binghatnton ,2005.

[11] HENK,S.*Shattered Subjects :Trauma and Testimony in Women's Life Writing*,NewYork University,Martin's,2000.

[12]Herman ,Judith. *Trauma and Recovery,The aftermath Of Violence From Domestic Abuse To Political Terror* ,Basic Book,.New York,1992.

[13]JELIN, E .*State Repression and the Labors of Memory*, Minn University of Minnesota, Minneapolis,2003.

[14] KOLK and HARD.*The Intrusive Past.*

-LACAPRA,D.

[15] *Acting –out" and "Making-Through "Trauma* ,Shoah Research Center,Cornell University, New York,2011.

[16] *Writing History ,Writing Trauma* ,Maryland :John Hopkins University, Baltimore, 2004.

[17]MAJDA.R.Atieh&GHADA.M.*Post-Traumatic Responses In The War Narratives OF Hanan al-shaykh's The Story Of Zahra And Cimamanda Nogozi Adichie's Half Of A Yellow Sun,Is this A culture Of Trauma ? First Edition, Inter-disciplinary Press, Oxford ,United Kinkdom,2013.*

[18]Miller ,Nancy K .*Portraits of Grief :Telling of Grief :Telling Details and The New Geners of Testimony ,In Keniston and Quinn. Literature after 11-9,* Routledge ,New York , 2008.

Arabic References in English.

[1]ANTOON,S. The Baghdad Eucharist**.** 1st.ed,Al-Jamal Publisher,Baghdad,2012.

[2]BENNET,T,2010-*New key Word s:A Revised Vocabulary Of Culture And Society*.1st.ed,Translated by:SaiidAL-ghani,The Arabic Translation Organization, Beirut-Lebanon.

[3]ALSHARBINI,L **.***Psychiatry Terminologies Dictionary***.** Reviewed by:Dr.Adel Sadek , Edited by :Health Science Arabization Centre, Kwait**.**

[4] FREUD,S. *An Introduction In Psychoanalysis***.** Translated by:Sami Mahmood Ali,Abd al Salam Kfash,Al-Osra Library ,Cairo.

[5]KAMAL,A. *Dreams Doors*.3d.ed,Arabic Establishment for Publishing and Studies,Jordan,1994.